وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

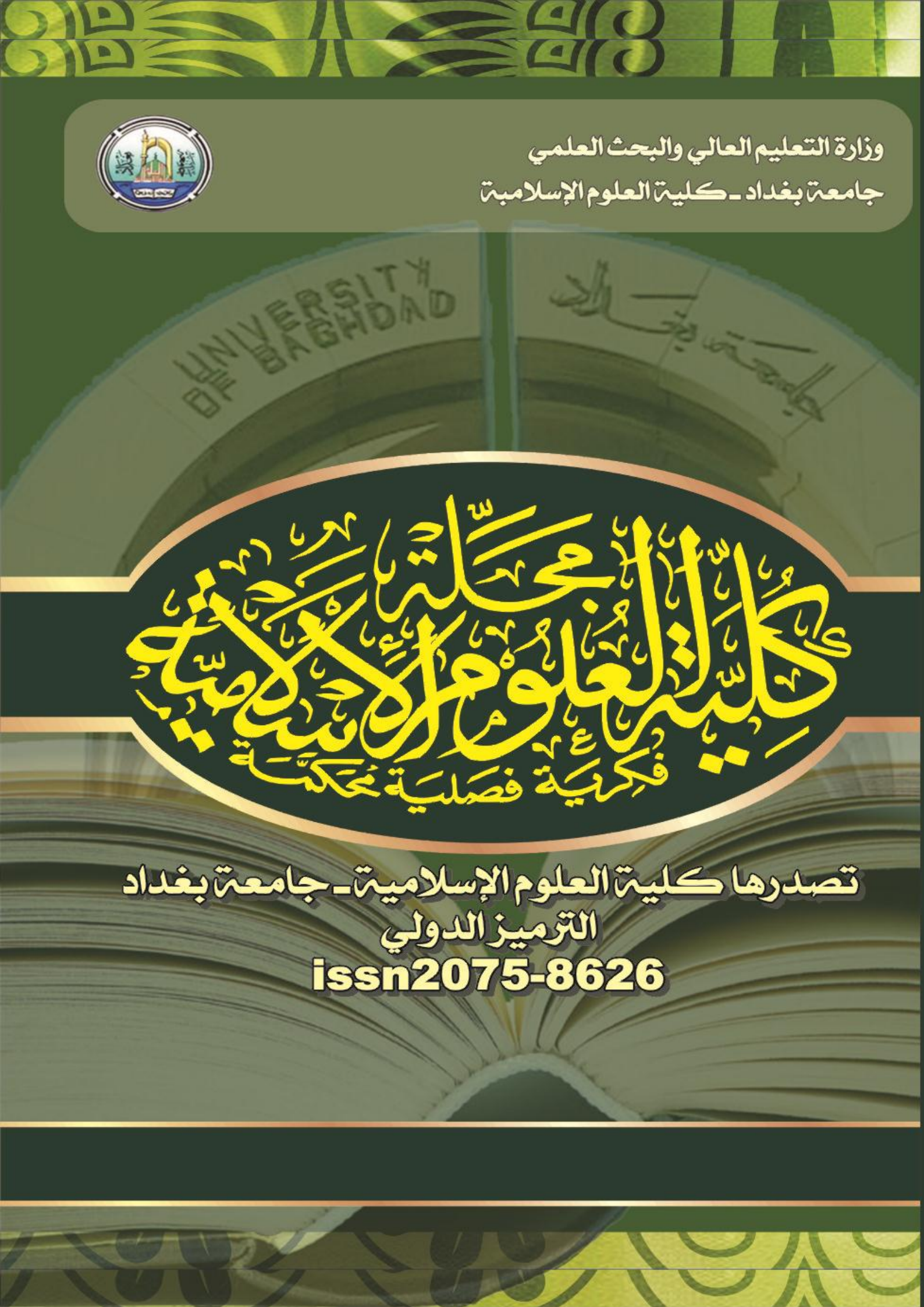

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية . فصلية . محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العـــــدد
(٤٥)

﴿ الجـــزء الثاني ﴾

٢٠جمادي الآخر ١٤٣٧هـ / ٣٠ اذار ٢٠١٦م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

﴿ فهرس الموضوعات﴾

(الجـــزء الثاني)

❁ كلمة العدد ..... ص ﴿١٢-١٣﴾

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
القصدُ في القـــرآنِ الكـــريمِ (المَعانِي والدِّلالات)	أ.م.د منشد فالح وادي	١٤-٣٤
اساليب القرآن في الاستدلال على وجود خالق الانام	أ.د فرحان محمود شهاب التميمي د. محمد حكمت عبد العبيدي	٣٥-٥٧
مفهوم نظرية الاحوال عند المتكلمين ـ النشأة والمفهوم ـ	أ.م.د ثائر ابراهيم خضير استاذ مشارك د. مراد عبد الله برع	٥٨-٨١
الإجماع الصريح بين النظرية والتطبيق	م٠د . نصر جاسم كاظم	٨٢-١٣١
آيات السكينة في القرآن الكريم ـ دراسة تحليلية ـ	د.عامر صباح أحمد الكبيسي	١٣٢-١٧١
الصورة الشعرية في شعر كعب بن زهير	د. محمد خضير فياض الحمداني	١٧٢-٢٠١
الإمام مُقَسِم بن بَجَرَةَ وآراؤه التفسيرية (جمع ودراسة)	الدكتور ماجد محمد خليفة القيسي	٢٠٢-٢٢٣
جماليات التشكيل اللوني عند الشعراء العباسيين	م. د. أحمد شكر محمد العزاوي	٢٢٤-٢٤١
رسالة في تفصيل ما قيل في أبوي النبي ﷺ لابن كمال باشا(ت٩٤٠هـ) دراسة وتحقيق	د. أحمد كامل سرحان	٢٤٢-٢٧١
احكام السابّ في الفقـــه الإسلامي	أ.م. د. حسن محسن صيهود د. غسان سلمان علي	٢٧٢-٢٩٣

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

(الجـــزء الثاني)

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
دراسة في فلسفة الصّرف عند أبي القاسم المؤدِّب في كتابه دقائق التصريف	م. د. محمد جبار حدّاد الساعدي	٢٩٤-٣١٥
أدوات نحوية متشابهة في الشكل ومختلفة في الحكم والعمل عند مهذب الدين المهلبي (ت: ٥٧٢هـ)	أ.م.د الدكتورة صبيحة حسن طعيس	٣١٦-٣٢٩
الظواهر الصوتية بين لهجتي تميم والحجاز	د. هند فاضل عباس	٣٣٠-٣٤٦
تقويم المواد الدراسية التخصصية في قسم التربية الفنية ومقترحات التطوير من وجهة نظر الطلبة	أ.م.د. نظام عبد الجبار حسين م. وفاء محمد حسين احمد	٣٤٧-٣٨٣
حوالة الدين في الشريعة الإسلامية وقانون المعاملات المدنية الاماراتي	د. إبراهيم عبدالرحيم أحمد ربابعة	٣٨٣-٤٠٧
المشتقات في سورة الأحزاب دراسة صرفية	م. عمار فيصل كاظم	٤٠٨-٤٢٦
حقوق الأطفال والمسّنين في الفقه الإسلامي	م . م يعرب عبدا لله محيسن	٤٢٧-٤٤٧
سمات التأنيث بين الحقيقة والمجاز	م.م براءة هاشم علوان	٤٤٨-٤٦٤
فتح الذرائع مفهومه- ضوابطه- تطبيقاته الفقهية المعاصرة	معاذ عبد اللطيف النايف	٤٦٥-٤٨١
مولد رسول اللهﷺ تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن جابر الشهير بابن الجابر الضرير المتوفى سنة (٧٨٠هـ - ١٣٧٩م) دراسة وتحقيق	المدرس إيمان كاظم مزعل العبودي	٤٨٢-٥١١
ضوابط عمل المرأة المسلمة وأثره في التشريع الاسلامي	أ.م.د وضحة عليوي صالح أ.م.د محمد عبد بخيت حسن	٥١٢-٥٢٥

اساليب القرآن في الاستدلال على وجود خالق الانام

Strategies in the Glorious Qur'an in Proving the Existence of Almighty Allah

بحث مقدم من قبل

د. محمد حكمت عبد العبيدي
جامعة الإمام الصادق
(رضي الله عنه)

الدكتور فرحان محمود شهاب التميمي
استاذ العقائد والاديان
كلية العلوم الاسلامية– جامعة تكريت

اساليب القرآن في الاستدلال على وجود خالق الانام

ملخص البحث

ثُعدُّ قضيةُ، وجود الله تعالى، وخالقيته للاكوان بما حوت، والموجودات وكيف تنوعت، والايمان به وبربوبيته والوهيته، قضية دقيقة، وغاية في الاهمية والخطورة، وانها شغلت الفكر الانساني قديما وحديثا، ولم تزل تشغله الى ان ياخذ الله تعالى الارض ومن عليها. اذ ترتب عليها مسائل كثيرة معقدة في الفكر، والسلوك، والاخلاق، وتمخض عنها ايمان طوائف كثيرة من الناس بوجوده تعالى، بعد ان حكّموا عقولهم، وصوروا عقائدهم وابعدوا افكارهم عن الزلل والشطط. حين تأملوا عجائب المخلوقات ودقائق الموجودات، وفكروا في انظمة حركة الكواكب والافلاك. وانكر وجوده الملحدون، وهم الضّالُون المُظِلون الذين انكروا الادراكات العقلية وامنوا بالقضايا الحسيَّة، واعتقدوا ان العقل لا يُعوّل عليه، وان الحِسَّ لم يتمكن من الوصول اليه.اولئك الملحدون كانوا دائما قلة قليلة، وجماعات صغيرة، لذا تالف هذا البحث من المسائل الاتية:

اولا: ايقاظ النظرة البشرية وتحريكها لاثبات حقيقة الوجود.

ثانيا: توجيه العقول للتفكر بخالق الموجودات.

ثالثا: استخدام فنون البلاغة والبيان في الاستدلال.

رابعا: دليل العناية والاختراع.

خامسا: الادلة العقلية البرهانية لاثبات وجوده تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وبه استعين واصلي واسلم خاتم الانبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين اما بعد:

تُعدُّ قضيةُ، وجود الله تعالى، وخالقيته للاكوان بما حوت، والموجودات وكيف تنوعت، والايمان به وبربوبيته والوهيته، قضية دقيقة، وغاية في الاهمية والخطورة، وانها شغلت الفكر الانساني قديما وحديثا، ولم تزل تشغله الى ان ياخذ الله تعالى الارض ومن عليها. اذ ترتب عليها مسائل كثيرة معقدة في الفكر، والسلوك، والاخلاق، وتمخض عنها ايمان طوائف كثيرة من الناس بوجوده تعالى، بعد ان حكّموا عقولهم، وصوروا عقائدهم وابعدوا افكارهم عن الزلل والشطط. حين تأملوا عجائب المخلوقات ودقائق الموجودات، وفكروا في انظمة حركة الكواكب والافلاك. وانكر وجوده الملحدون، وهم الضّالُون المُظِلون الذين انكروا الادراكات العقلية وامنوا بالقضايا الحسيَّة، واعتقدوا ان العقل لا يُعوّل عليه، وان الحِسَّ لم يتمكن من الوصول اليه.اولئك الملحدون كانوا دائما قلة قليلة، وجماعات صغيرة، كما قال عنهم الغزالي (رحمه الله):(شرذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة، والاراء المعكوسة الذين لا يعبأ بهم بين النُظّار))[1]. وقد رَدَّ عليهم العلماء بالأدلة النقلية والعقلية، المركبة منها والبسيطة، التي تُعَدُّ من اروع صفحات الفكر الانساني التي تقدم بها العلماء والمفكرون لاثبات وجود الله سبحانه وتعالى، والذين ينتمون الى اديان سماويّة ووضعيّة اتفقوا على القول:ان لهذا العالم خالِقا ومُدبِرا خلقه بقدر، ودبره بحكمة : وهو الله سبحانه وتعالى. وجاء القران الكريم خاتِما للكتب السماوية وهو معجزة نبينا محمد (ﷺ) نزل بالحق من ربه، وكان مُنَجما بعلمه، وبشهادة ملائكته فقال تعالى:﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[2].ليثبت وجود الله تعالى، وانه الواحد الاحد، الفرد الصمد، ربُّ كل شيء وخالقه، ومدبر أمره. لقد كان القران الكتاب السماوي المعجز في البلاغة والبيان والمنهج والاسلوب وبه تحدى الله تعالى العرب اهل الفصاحة والكلام ان يعارضوه او ياتوا بمثله، او البعض من سورة فعجزوا عن مجاراته ،وانصرفوا عن معارضته ،ومن ابواب اعجازه ان جمع كل الادلة العقلية، والبراهين البديهية السهلة البسيطة والواضحة البينة، التي يدركها العقل دون حاجة الى الغوص في لجج الاستدلال والجدل، ومن دون ان يصيبه الارباك والعجز والوهن، ذلك ان تلك الادلة يستوي في ادراكها الجاهل والساذج والعالم والفيلسوف، وقد الَّفت الايات القرانية الاستدلالية بعمومها الدليل العقلي (الدليل الكوني)، وهو الدليل الذي يُستَدلُ به على وجود الله تعالى وخالقيته وكمال الوهيته، وتلك براهين قوية جدا لاثبات وجوده تعالى، حيث يوصل القران بها الانسانَ بربه للايمان الكامل بوجوده وخالقيته، عن طريق الجمع بين الادلة العقليّة، والادلة الروحية، فيربط بين النظر في الكون المتسع المعقد وبين الاحساس الداخلي، اي الاستجابة لنداء الروح والعاطفة الذي ينبثق من اعماق النفوس.فقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]. وكانت اساليب القران الكريم في غاية البلاغة والاعجاز، واوضح الأدلة والبرهان لاثبات وجود الله تعالى، اذ انها صورت التشعب الديني والانحراف العقائدي للامم والشعوب، وجاءت لابطال كل التصورات المنحرفة والعقائد الفاسدة، ولتقيم العقيدة الدينية على اسس سليمة من التوحيد الخالص لله تعالى، والايمان

بوجوده وخالقيته. ولبيان اساليب القران في الاستدلال على وجود خالق الانام. عملت على جمع تلك الادلة ، والاستدلان بمجمل البراهين التي اشار اليه القرآن الكريم في الكثير من الايات المباركة مبيناً انه كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من بين خلفه ، حوى من الاساليب البلاغية والفنون البيانية ما يقنع بها النفوس الحائرة ، والعقول الراجحة للاستلال على وجوده تعالى لذا تالف هذا البحث من المسائل الاتية:-

اولا: ايقاظ النظرة البشرية وتحريكها لاثبات حقيقة الوجود.

ثانيا: توجيه العقول للتفكر بخالق الموجودات.

ثالثا: استخدام فنون البلاغة والبيان في الاستدلال.

رابعا: دليل العناية والاختراع.

خامسا: الادلة العقلية البرهانية لاثبات وجوده تعالى.

الخاتمة والنتائج .

المصادر والمراجع .

د. محمد حكمت عبد العبيدي — الدكتور فرحان محمود شهاب التميمي
جامعة الأمام الصادق (رض الله عنه) — استاذ العقائد والاديان المساعد
كلية العلوم الاسلامية- جامعة تكريت

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

اولا: ايقاظ الفطرة البشرية: وتحريكها لادراك حقيقة الوجود.

أ- الفطرة لغة [٤]: وردت لفظة الفطره في اللغة بالكسر والفتح والضم .

فبالكسر : تعني الخِلقة أي مافطر الله عليه الخلق من المعرفة به، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴾[5].

فجائت على وزن (فِعلةْ) مرة واحدة في القرءان الكريم قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾ الروم: ٣٠ .

وبالفتح : تعني الشقُ طولا . يقال فَطَرتَهُ فأنفَطَر ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾ [٦]. أي أنشقت . وهنا تعني الابتداء والاختراع .وفَطَرَ اللهُ الخلقَ أي أوجدهم ، وأبدعهم.من ايجاد الشيء وإبداعه على هيئة ترشحه لفعل من الافعال ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ [٧]. أي الذي اوجدنا وابدعنا.

والفطرةُ بالضم: فطره يفطره فُطرا أي خلقه. والفطرة بأساليبها الثلاثه تدور على معاني الأبتداء والأيجاد من غير التأثيرات الخارجة عليه إلا من قبل منشئه .

وفطرة الله : اي الجبلة المتهيئة لقبول الدين، فهي ماركز في الانسان من قوة لمعرفة الايمان. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨).

ب – الفطره في الاصطلاح الشرعي :

١-تعددت اقوال العلماء والباحثون في تحديد معنى الفطرة في الاصطلاح الشرعي، فقيل انها السلامة والاستقامة الاصليّة، والخُلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، او انها التحسين والتقبح العقليان الفطريان، وقيل انها في كل احوال الانسان وان لها معان كثيرة ووجوه في كلام العرب، او انها البداءة، واختلفوا ايضا في دلالتها هل انها للعموم او الخصوص. وجميع التعاريف للفطرة تدور حول المعاني اللغوية فجاءت متحدة في مضمونها مختلفة في الفاظها.

والذي نختاره هو ان الفطرة هي: (الخِلقة والهيئة ،والاستعدات المركوزة في النفوس البشرية مذ خلقها، وهي مُعدَّة لان يُميز بها الفرد وجود الله وخالقيته ،ويستدل على الايمان به، ومعرفة احكامه. انها الخلقة التي خُلِق المولودُ عليها للاعتراف بالله قبل ان تعرض له العوارض فتفسد تلك الفطرة) (٩).

وقد اكدَّ القرآنُ الكريم على ايقاظ الفطرة الانسانية بأساليب متنوعة ومعان متعددة، فعدَها الاصل التي خَلقَ الله الناس عليها، والصفاء الذي يولد عليه الانسان ويخرج عليه الفرع على شاكلة ابيه ادم وامِه حواء، وهو التوحيد والاسلام فقال تعالى : (١٠). واشارت الايات القرانية ان الفطرة النقيَّة الصافية ربما تنحرف عن اصلها بفعل عوامل كثيرة، واسباب عديدة، داخلية وخارجية فتميل نحو الشرك والوثنية، فتنكر وجود الله وربوبيته والوهيته، لكنها سرعان ما تعود الى بارئها عند تعرضها للشدائد، وابتلائها بالمصائب. دليل ذلك قوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١١).

ان عودةَ النفسِ البشريَّة الى بارئِها سببه كونها مجبولة على الأيمان بالله والأعتراف بخالقيته ووحدانيته، لان هنالك عهدا وميثاقا معقودا بينها وبين الله سبحانه وتعالى، وهي لم تزل في صلب ادم(عليه السلام) في صورة الذَّر، قال تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (١٢).

دلت الاية المباركة على ان هذا هو الميثاق او(عهد الفطرة) الذي اخذه سبحانه وتعالى على النفوس البشرية وهي بهيئة الذَّر وأشهدها على ذاتها، لقوله تعالى:(...ألستُ بربكم)؟ فتعترف له بالربوبيَّة والوحدانيَّة :(قالوا: بلى شهدنا).فالفطرة بهذا المعنى مركوزة في النفوس، وموجودة بالفعل، وهي شاهدة على وجود خالقها وبارئها.مقرة بالايمان به والتوكل عليه.

ان الفطرة النقيّة متهيئة لقبول الاسلام لوجود رابط وثيق بينها وبينه باعتبارهما من صنعه تعالى، وطبيعة النفس البشرية تتلائم وتتفق مع روح الاسلام وقِيَمه، لانه الدِين الذي ارتضاه تعالى للناس، وان تلك النفس مجبولة على الايمان بالله تعالى ووجوده وخالقيته.

يقول ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره للآية المباركة: (يخبر الله تعالى انه استخرج ذرية بني ادم من اصلابهم شاهدين على انفسهم ان الله ربهم ومليكهم، وان لا اله الا هو، كما انه تعالى فطرهم على ذلك وجعلهم عليه)[١٣]. اي ان الايمان بالله ووجوده كما يعرضه السياق القراني شعور فطري مُودع في النفس البشرية، ومستقر في صميمها وانها تستشعره بذاتها. وهذا الشعور يسمى بـ(الغريزة الدينية) ذلك الشعور الذي يميّزالانسان عن بقية المخلوقات[١٤].

لقد عرض المنهج القراني بأساليبه البيانيّة المُعجِزة مسالة الفطرة، وانها توجب التوحيد وان ذلك سُنة الله التي لا يمكن ان تتبدل وان مقتضي تلك الفطرة هو الاستقامة على الدين القيم فلا يمكن تحقيق التوحيد والدين القيم الا بتحقيق مقتضاها[١٥].

ان تصوير الفطرة في صورة مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق والمستكنة في ظهور بني ادم قبل ان تظهر الى عالم الشهادة، وكما يعرضها القران الكريم، يُعدُّ اسلوبا فريدا، وتصويرا عميقا، استحال على اصحاب البلاغة والبيان مجاراته برسم تلك الصورة الفريدة للفطرة الانسانية .حيث ربط الله تعالى بين الفطرة السليمة وبين الدين الحق الذي ارتضاه تعالى للناس فقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٦].

ويرى جمهور الصحابة والتابعين وجمهور المفسرين وعامة اهل الاثر والحديث والصوفية: ان الله لما خلق ادم (عليه السلام)، مسح على ظهره فاخرج منه ذريته كامثال الذر، فئة بيضاء نقية واخرى سوداء كالحمم، وهذا الاخراج كان لجميع الذرية. واخذ عليهم عهدا وميثاقا بانه ربهم المعبود الذي لا اله لهم غيره وهم عبيده، فاقروا بذلك شاهدين على انفسهم قال تعالى ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾[١٧]. حيث كان اقرارهم له تعالى بلسان المقال[١٨].

بينما ذهب بعض المفسرين من اصحاب الراي خاصة، وبعض علماء المسلمين من السلف الى القول: ان لا إخراج، ولا قول ولا إشهاد بالفعل، انما ذلك كله على سبيل المجاز او التمثيل فيكون المراد احد امرين:

الاول: هو ما فطرهم الله تعالى عليه من توحيد استدلالا بقوله تعالى :﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[١٩]، فالاخذ يتضمن خلقهم، والاشهاد يتضمن هدايته لهم الى هذا الا قرار[٢٠].

الثاني: (ان المراد من اخذ الميثاق من ظهور بني ادم على الترتيب الذي مضت به السنة من لدن ادم الى فناء العالم، ونصب الادلة لهم في انفسهم اوفي الكون. اي ان الله تعالى نصب هذه الدلائل واظهرها للعقول، لئلا يقولوا: انما اشركنا على سبيل التقليد لابائنا، لان نصب ادلة التوحيد، قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه، و في الاقبال على تقليد الاباء في الشرك)[٢١]. أي انه تعالى ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة.والى هذا القول ذهب المعتزلة كالزمخشري، والقاضي عبد الجبار، ومن وافقهم من المفسرين كابي السعود وابن حبان والنسفي وغيرهم[٢٢].

وكلا الامرين–الفطرة او نصب الادلة العقلية– يشتركان في الانكار بالاخراج من ظهر ادم والأشهاد بلسان المقال[٢٣].

ويبدو ان اقوال العلماء في اية الميثاق، سواء الذين قالوا: باخراج الذرية وتحقيق الاشهاد بلسان المقال، او الذين انكروا ذلك منهم وقالوا بلسان الحال.تجمع على انهم جميعا يتفقون على فطرية التوحيد، وان المعرفة به ضرورية فاشهاد الله تعالى للناس جميعا حجة عليهم، فلا يمكن لاحد يوم القيامة ان يعتذر بالجهل بالتوحيد، لان عنده من العلم، وبطلان ما عليه الاباء من الشرك ما يدفع به ذلك، بحيث لا يقع الشرك الا بارادته واختياره[٢٤].

وقد اكدت السُنَّة النبوية المباركة ما دلَّ عليه القران الكريم، اذا جاء في الصحيحين عن ابي هريرة (ﷺ) :(ما من مولود يولد الا على الفطرة، فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تَحسُّون فيها من جدعاء)[٢٥]. ثم يقول ابو هريرة (ﷺ): (فطرة الله التي فطر الناس عليها).

ويبين القران الكريم باسلوب غاية في الايضاح والبيان: ان الفطرة الانسانية قد تمرض –كما تمرض الابدان– وقد تفسد بفساد البيئة فتتعرض للانحراف لاسباب كثيرة وعوامل متعددة عندما تحجبها الشهوات وتغطيها الشبهات، فاذا زالت تلك الحجب بالادلة والبراهين ظهرت مقتضيات الفطرة الصافية كما حصل لسحرة فرعون حيث قالوا ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾[٢٦]. وبذلك يكون(اسلوب القران في الاستدلال بالخلق على الخالق كثيرا ما ياتي في صورة التذكير، لا في صورة انشاء معرفة جديدة لم تكن مغروزة في النفس، وهذا هو شان المعارف الاولية)[٢٧].

ان فساد الفطرة السليمة وانحرافها عن مسارها القويم ووجهتها الصحيحة وجحودها لخالقها يكون لاسباب كثيرة رغم الحقيقة المستكنة بداخلها وهي معرفتها الحق وان لم تذعن له كما قال تعالى في شان فرعون ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢٨]. وقال تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٢٩].

كذلك اكدت السنة النبوية المباركة امكانية انحراف الفطرة وفسادها حين تلحقها الافات والنقائص فجاء في الحديث القدسي (يقول الله اني خلقت عبادي حنفاء فجاءت الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم)[٣٠].

وكذلك الحديث الذي رواه ابو هريرة (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) (ما من مولود يولد الا على الفطرة وفي رواية على الملة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه)[٣١].

ومن العوارض التي تصيب الفطرة فتؤدي الى انحرافها هي العوامل الخارجية كالشياطين والبيئة والمجتمع والاسرة والغفلة والنسيان، وتقليد الاسلاف في الشرك والضلالة وسوى ذلك[٣٢].

وجاء اسلوب القران موضحا ذلك الانحراف، وانه تعالى ورحمة بعباده لم يكلهم الى فطرتهم التي يصيبها ذلك المرض، لذا بعث الانبياء والمرسلين لغرض اعادة توجيه الفطرة الى مسارها السليم، ووضعها الصحيح واعادة ربطها بخالقها فجاءت الرسالات السماوية، ودعوات الانبياء لاقوامهم مؤكدة على عبادة الله وتوحيده وداعية الى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[٣٣].

وقوله تعالى ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣٤].

وبذلك بين المنهج القراني والسنة النبوية المطهرة ان الشرك والوثنية فكر خاطئ وانحراف كبير عن الفطرة السليمة وتلك حالة مرضية طارئة تحدث للفطرة كما تحدث الامراض للجسم، وان الانسان السوي اذا ترك الامر لفطرته

من غير تدخل وتلقين فانه يفكر ويعتقد بوجود الله الخالق، ويرى انه محتاج لقوة عليا لها من السيطرة والسلطان والحكم الاثر الكبير في تدبير الكون، فينقاد بسهولة ويسر للايمان بتلك القوة الروحية التي تؤثر في حياته ومقدراته[٣٥].

لقد قرر القران الكريم حقيقة كبرى هي خلق الانسان على فطرة سليمة تتجه الى بارئها وتلجا اليه عند الشدائد والملمات وعندما تحيط بها المخاطر كما فعل فرعون الذي ادعى الربوبية والالوهية فقال تعالى على لسانه حينما ادركه الغرق: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣٦].

ويتبين من ذلك ان اساليب القران جاءت مؤكدة على الفطرة السليمة ومخاطبة جوانب النفس البشرية بما يلبي حاجات الروح والجسد من جهة والعقل والعاطفة من جهة اخرى في توازن متسق مع حاجات الانسان المادية الروحية وبذلك تبقى فطرة المؤمن نقية لانها تناسب ماهيته وطبيعته ولا تتصادم مع عقله ومبادئه[٣٧].

جاء المنهج القراني باسلوب بلاغي وجداني ليذكر الانسان بهذه الفطرة ويوقظ احساسه بالمسائل الايمانية والعقائدية وفي مقدمتها وجود الله تعالى والايمان به، وليزيل عن تلك الفطرة بما قد علق بها وطرء عليها، من مؤثرات واسباب ومصالح مادية هبطت بها وحرفتها عن اصولها الصافية.

ثانيا: توجيه العقول للتفكر بوجود خالق الموجودات.

من اساليب القران في الاستدلال على وجود الله تعالى وخالقيته: توجيه العقول توجيها ايقاعيا متناسقا والفاتها للنظر في عظمة الكون، ونظامه الدقيق وحركته المنضبطة التي لا تفتر على مر الايام والسنين، وكذلك الى وجود المخلوقات المختلفة والموجودات المتعددة، وكيفية نشوئها وعيشها وتكاثرها، وكذلك خاطب الاسلوب القراني ذاته الانسان نفسه ليتفكر في ذاته وخلقه وعيشه ودقة النظام في اعضاء جسمه،وحثَّه على ان يمعن النظر ويجول البصر في دقة هذا النظام، وعظمته، وهندسة حركته، وضبط افلاكه، ليصل الى نتيجة يقينية، وحقيقية ازلية هي: ان هذا الوجود بما حوى لم يكن من صنع انسان ولا من تدبير بشر وانما هو من صنع اله واحد خالق مريد، ومدبر حكيم[٣٨].

لقد خلق الله تعالى المخلوقات كافة ومنها الانسان، وكرَّمه عليها حين منحه العقل وجعله مناطا للتكليف. لذا توجهت الايات القرانية المباركة الى العقل الانساني لتوقظه من رقدته وسُباته برفق ويسر، وترشده الى عقيدة التوحيد، وتبسط امامه شواهد الخلق واثار الصنعة الالهية، وتنبهه الى الدقائق الكونية والقوانين الالهية، والحقائق اليقينية للايمان بوجود الله وخالقيته والوهيته وكمال صفاته: قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣٩].

جاءت الاساليب القرانيّة البلاغيّة بمنهج بلاغي فريد موجهة للعقول،-كما ذكرنا انفا- ومرشدة للالباب للتفكر بوجوده تعالى وخالقيته، وكمال صفاته. وتلك الاساليب تَستَدِلُ بالمحسوسات الكونيّة،وبخلق النبات والحيوان، بل بذات الانسان وتكوينه، وتلك ادلة قاطعة وبراهين ساطعة على وجود اله خالق، اذ انها لا يمكن تتحقق صدفة، او بطريقة عفويَّة كالقول بالاحتمال والمصادفة التي يتشدق بها البعض. لذا دلَّ الاسلوب القراني في مخاطبته للعقول على ذلك دلالة قاطعة فقال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ

النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤٠]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾[٤١].

وإذْ أعلى القران الكريم من مكانة العقل الانساني ودوره في المعرفة وادراكاته وضمن ضوابط محددة، فان هناك من انكر هذا الدور فانقسم الناس في ذلك الى فريقين:[٤٢]

الاول : يعترف بوجود العقل، وان ادراكاته موصلة بصحيح النظر الى العلم والمعرفة.وهم عامة المسلمين وفلاسفتهم ومتكلميهم، وعامة العقلاء من الناس.

الثاني: وهم فريقان ايضا:

أ-فريق يعترف بوجود العقل كما ذكر الفريق الاول الا انه لا يعترف بادراكاته وحقائقه ومعارفه، ولا يقيم لها وزنا وقد ذهب الى ذلك السوفسطائيون[*] من الفلاسفة غير المسلمين، وبعض المسلمين كالاسماعيلية الذين يُوصُون بالرجوع الى الامام دون قيد او شرط، لاعتقادهم بعصمته عن الخطأ وان الحقيقة وقف عليه، فهو الذي يعرف بواطن النصوص، ويميز بين الحق والباطل، والهدى من الضلالة، اما العقل فغير كاف لاكتساب المعارف، كما ان الصوفيَّة من المسلمين ذهبوا الى القول: بان الالهام طريق المعرفة وليس العقل[٤٣]. وقد رد على هذا الفريق دعواهم، العلماءُ اصحاب العقل- من الفريق الاول- واثبتوا فسادها وبينوا بعدها عن الحقيقة والواقع.

ب-فريق ينكر العقل وادراكاته جملةً للوصول الى المعرفة، ويسمى هؤلاء بـ(الحسيين) او (الماديين) او (التجريبيين) ويرى هذا الفريق:أنَّ الحواس الظاهرة والمخيّلة هي وسائلنا الوحيدة للمعرفة، وان ما يسمى بـ(العقل) ان هو الا جملة افعال ترجع اليها[٤٤].وقد ظهر اصحاب هذا الراي في اوربا في العصور الوسطى من ابرزهم (جون لوك) (١٦٣٢-١٣٠٤م) و(ديفيد هيوم) (١٧١١-١٧٧٦م) وغيرهم وقد انتشر هذا المذهب انتشارا واسعا في اوربا الا انه تعرض للنقد والمعارضة الشديدة من قبل العقلانيين[٤٥]. وسنناقش فيما يلي هل يكتفي العقل الانساني بمعطياته وادراكاته؟ ام انه يحتاج الى من يعينه في ذلك؟

أ-العقل وحدوده:

رغم اعتراف المسلمين بالعقل ومعارفه وادراكاته، ورغم تفاوتهم في التعويل على معطياته الا انهم قالوا انه لا يمكن ان يكون مطلقا في ادراكه ومعارفه، خاصة ما يتعلق منها بالاخرويات او الغيبيات وقرروا حاجة العقل الانساني الى من يعينه في تحديد الاعمال، ومعرفة الصفات والاحوال للذات الالهية، وكذلك احوال الاخرة ومنازلها، وان ذلك المعين هو النبي او الرسول، ووافقهم في ذلك المؤمنون بالشرائع السماوية، وخالفهم بعض الفلاسفة من براهمة الهند. الذين قالوا بالمعارف العقلية دون الحاجة الى هذه النبوات.

ان قضية وجود الله والايمان به هي القضية الكبرى التي اكد عليها القران الكرين واهتم بها وخطط في ذلك منهجا متميزا واسلوبا معجزا في البرهنة والاستدلال من العرض والايضاح.

وبذلك ازال القران بمنهجه القويم واساليبه المحكمة العوائق التي تحول بين العقل ودوره في اداء واجبه، فذم التقليد الاعمى او الانسياق وراء الغير دون علم او دراية. فالمقلِد دون علم أوفكر غير قادر على التمييز يصبح وكأنه ألغى إعمال عقله وادراكاته وأدى الى حجره عن اداء وظائفه. والى ذلك قال تعالى :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٤٦].

ونهى القران الكريم عن الظن والاعتقاد ان عبادة الاباء والاسلاف ومعارفهم هي الحق والصواب وان خالفت الاحكام التي امرت الشرائع السماوية وهذا وهم وباطل وقد بنين على قاعدة باطلة لانه من خلال هذا الاعتقاد تدخل الاهواء في الحكم على الاشياء، فيؤول ذلك الى الظلم والفساد، وضياع الحقوق والحريات، فقال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤٧].

فأكد القران وباساليبه البيانية المتنوعة على توجيه العقل للاستدلال بالبراهين العقلية والادلة السمعية، بطريقة واضحة لا لبس فيها ولا تعقيد لانها مبرهنات يدركها العقل المنتج ويؤيدها الواقع المحسوس. قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٨].

لقد أقام القران الكريم، الادلة الكثيرة، والبراهين المتعددة، العقلية منها والحسية لاثبات وجوده تعالى، ووحدانيته، وكمال صفاته، مما لا يجعل مفرا من الاقتناع بنتائجها وحقائقها .

ب–الوحي والنبوات:

بيَّن المنهج القراني باساليبه البيانية،وعباراته البلاغيَّة، ان العقل الانساني لا يمكن ان يتوصل بمعارفه الادراكيَّة ومعطياته الذاتيَّة الى الايمان بوجوده تعالى وبصفاته الكماليَّة: دون الاستعانة بمن يعينه الى معرفة اسرار الكون، وانتظام عوالمه،ومعرفة ما يتعلق بالأخرويات، والحصول على السعادة في الدارين، بل لا بُدَّ من معونة من اختصهم الله تعالى بالبشارة و الوحي، وهم الانبياء والرسل (عليهم السلام).

ان الوحي الالهي يؤكد على توجيه الانسان لاعمال العقل واستخراج المجهولات التصورية، وربط الاسباب بالمسببات، وفق اسلوب تربوي عقلي، يتصف بالحيوية والمقدرة على كشف الحقائق، وتفسير كثير من المسائل المتعلقة بالغيبيات والاخرويات التي يسعد الايمان بها في اصول الدين[٤٩]. فان الانسان لا يستطيع ان يكتفي بمعطيات عقله في معرفة الله ووجوده لذا يحتاج العقل الى معين يستعين به في ادراك ما عجز عنه والمعين على ذلك هو الوحي واذا استدل فريق ممن يؤمن بوجود العقل وادراكاته ببعض الناس الذين سمت عقولهم، وصفت نفوسهم، فتوصلوا بصحيح النظر الى وجود الله تعالى والايمان به، ومعرفة صفاته الكماليَّة واليوم الاخر، وتيقنوا ان السعادة والشقاء مقرونان بالاعمال في الحياة الدنيا، وبمعرفة الفضائل والرذائل دون ان ياتيهم الوحي الالهي، كما حصل لـ(اخناتون) في مصر، و(براهما) في الهند و(كنفوشيوس) في الصين و(زرادشت) في فارس، فان ذلك ليس دليلا على استقلال العقل وحالا لعامة الناس، وانما قد يتيسر لبعضهم ممن اختصهم الله تعالى بكمال العقل ونور البصيرة دون البعض الاخر كما ذكرنا

سابقا في القرآن الكريم دعى هؤلاء الذين استثارة عقولهم واعمال تفكيرهم الى صالح السلوك والاعمال، والاعتقاد بوجود اله خالق وان لم تصلهم دعوة نبي او رسالة رسول.

لكن وبسبب اختلاف الناس في: حاجاتهم، وميولهم، ورغباتهم، واخلاقهم واستعداداتهم، واصنافهم، وبيئاتهم، فان عقولهم متفاوتة في المعرفة والادراك وليس بامكانها بلوغ السعادة في الدارين للحصول على ثواب الاخرة[٥٠]. لذا اصبحت في حاجة الى من يعينها في تحقيق ذلك، وهذا المعين يجب ان يكون من جنس البشر كي يفهموا عنه ما يقول او بما ياتي به من عند ربه، وهذا المعين هو النبي او الرسول الذي ايَّدَه الله تعالى بالوحي الالهي فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[٥١].

ثالثا: استخدام فنون البلاغة والبيان في الاستدلال.

جاء القران الكريم متحديا للعرب اهل الكلام والفصاحة، والبيان والبلاغة، في اسلوبه وبيانه وبلاغته قال الباقلاني:(ان نظم القران على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج المعهود في نظام جميع كلام العرب، ومباين للمؤلوف من خطابهم، وله اسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد)[٥٢].

لقد كان اسلوب القران يثير الحسن ويستفز المشاعر، ويستنهض الخيال لمعرفة وجود الله تعالى وتوحيده، وكان منهجه موجها لتحرير العقيدة من شوائب الشرك والوثنية واعادة الفطرة الانسانية التي اصابها الانحراف نحو الطريق القويم طريق التوحيد الخالص. ان القران الكريم هو معجزة النبي محمد (ﷺ) العقلية الخالدة مع مر الايام والذي تكفل سبحانه وتعالى بحفظه فقال تعالى: ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾[٥٣]. اي ان هذه المعجزة تباين معجزات الرسل الذين سبقوا النبي محمد (ﷺ) الذين كانت معجزاتهم حسية، خرقت النواميس وتحدت المشركين والمعاندين. فكانت معجزة موسى (عليه السلام) العصا واليد، وانشقاق البحر وسواها، ومعجزة عيسى (عليه السلام)ابراء الاكمه والابرص، واحياء الموتى. ومعجزة النبي صالح (عليه السلام) الناقة.. وتلك معجزات كونيّة حسيّة، من شاهدها آمن بها، ومن لم يشاهدها صارت عنده خبرا ان شاء صدقها وان شاء لم يصدقها[٥٤].

يصف السيد قطب (رحمه الله) اسلوب القران الكريم وتاثيره في النفوس فيقول: (هو التاثير الذي يلمس الوجدان ويحرك المشاعر، ويفيض الدموع، يسمعه الذين تهياوا للايمان فيسارعون اليه كالمسحورين، ويسمعه الذين يستكبرون عن الاذعان فيقولون (ان هذا الاسحر مبين)[٥٥]. ويؤكد السيد قطب على اعتبار التصوير الفني هو الاداة المفضلة في اسلوب القران، وهذا الاسلوب يعبر بالصورة المحسة المتمثلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية لدى الانسان والحوادث المحسوسة والمشاهدة المنظورة[٥٦].

ويرى سيد قطب ان التصوير الفني يقوم على ظاهرة (التخييل الحسي والتجسم) ثم يصل ذروته في الاعجاز ببلوغه مرحلة التناسق الفني سواء كان في النظم او السرد، او الترابط في المعني والتسلسل المنطقي، والتعبير المصور والتصوير المشخص الى تخييل مجسم، وبذلك تتكامل الصورة وتتسق اجزاؤها وتتناسق ضمن اطار فني موسيقي متوافق وبهذا يتم الابداع ويتحقق الاعجاز[٥٧].

وقد ذكر الزركشي الكثير من اساليب القران وفنونه البلاغية منها:

التوكيد،والحذف،والايجاز ،والتقديم،والتاخير ،والقلب،والمدرج،والاقتصاص،والتغليب،والالتفات،والتضمين، وضع الخبر موضع الطلب، ووضع الطلب موضع الخبر، وضع النداء موضع التعجب، وضع القلة موضع الكثرة،وتذكير المؤنث، وتانيث المذكر، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه، ومشاكلة اللفظ للمعنى، والبحث، والابدال، والمحاذاة، وقواعد النفي والصفات، واخراج اللفظ مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة، والاعراض عن صريح الحكم، والهدم، والتوسع، والاستدراج، والتشبيه، والاستعارة، والتورية، والتجريد، والتجنيس، والمقابلة، والجام الخصم بالحجة، والتقسيم، والتعديد، ومقابلة الجمع بالجمع، وما ورد في القران مجموعا تارة ومفردا تارة اخرى، وقواعد في الضمائر والسؤال، والجواب والخطاب، والتادب فيه، والخطاب بالاسم او بالفعل، وتقديم ذكر الرحمة على العذاب، وذكر الظروف والموصولات او حذفها، والنهي، ودفع التناقض عما يوهم، والايجاز والاطناب، وسوى ذلك من الاساليب[٥٨].

وبذلك جاء المنهج القرآني يستخدم مختلف الاساليب البلاغية والصور البيانية لتقرير وجود الله تعالى وتوحيد الخالق، ويعالج الانحراف العقائدي والاضطراب الفكري الذي اصاب كثير من الامم والشعوب. وتلك الاساليب اثارت الخصوم من اهل البلاغة والكلام فعجزوا عن مجاراتها، وادركوا بانه ليس كلاما للبشر بل انه مباين له من وجوه كثيرة، فقاد كثيراً منهم الى الايمان بانه من عند الله وليس كلاما بشريا، فكان بذلك من اجلى البراهين لاعتقادهم بالوهيته بالايمان بوجوده تعالى.

رابعا: دليل العناية والاختراع (البرهان العلمي).

يُعَدُّ هنا الدليل من اوضح الادلة التي نبه اليها القران الكريم وباساليب بيانه مقنعة ومعجزة، حيث جعل من هذا الدليل اجلى الادلة واكثرها دلالة على وجود الله تعالى، لذا اعتمده الصحابة (ﷺ) والتابعين ومن تبعهم. وقد ذكره ابن رشد في كتابه (مناهج الادلة في عقائد اهل الملة) باسم (العناية والاختراع)، وذكر ان هذا الدليل يمكن ان يتخذه كل من[٥٩]:

أ-الجمهور طريقا لاثبات وجود الله تعالى، فيقتصرون منه على ما على هو مدرك بالمعرفة الاولى المبنية على الحس.

ب-العلماء، فيزيدون على ما يدرك من هذه الاشياء بالحس ما يدرك بالبرهان. وقد نبه القران الكريم الى الطريقة الشرعية لاثبات وجود الله تعالى، ودعا الناس للاستدلال بها واعتمدها الصحابة (ﷺ) وهي تنحصر في جنسين:

احدهما : طريقة الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من اجله (دليل العناية).

ثانيهما: ما يظهر في اختراع جواهر الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجمادات والادراكات الحسية، والعقلية (دليل الاختراع)[٦٠].

الدليل الاول : دليل العناية:

ويظهر هذا الدليل واضحا وجليا في عناية الله سبحانه وتعالى بالانسان وخلق جميع الموجودات في الكون من اجله وموافقة لوجوده.. وبين المنهج القراني باسلوب بلاغي مقنع ان هذا الدلي يبنى على اصلين هما[٦١].

أ-ان جميع الموجودات والمخلوقات في هذا الكون موافقة لوجود الانسان ومتسقة مع حياته وطبيعة معيشته.

ب–ان هذه الموافقة هي (ضرورة) من قبل فاعل قاصد لذلك مريد. فلا يمكن ان تكون هذه الموافقة قد حصلت بالاتفاق اوالمصادفة. فالموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار، والشمس والقمر، وكذلك موافقة الحيوان والنبات، والجماد، والامطار، والانهار، البحار، والنار، والهواء، وكذلك الزمان، والمكان والعناية باعضاء الانسان والحيوان فجميع ذلك يوافق وجود الانسان ويحقق المنافع له ،ويساعد على استمرارية وديمومة هذا الجنس.

–قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[٦٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا(*)وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا(*)وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا(*)وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا(*)وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا(*)وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(*)وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا(*)وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا(*)وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(*) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا(*) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾[٦٣].

وقال تعالى :﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(*)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً(*)ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً(*)فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً(*)وَعِنَباً وَقَضْباً(*)وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً(*) وَحَدَائِقَ غُلْباً(*) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً(*) مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٦٤].

الدلي الثاني: دليل الاختراع[٦٥]:

وهو دليل يقوم على ما يظهر من اختراع جواهر الاشياء، كاختراع الحياة في الاشياء والادراكات الحسية، والعقل فيدخل فيه وجود الحيوان كله، ووجود النبات ووجود السموات، ويبنى هذا الدليل على اصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس هما:

اولهما: ان هذه الموجودات مخترعه، فترى اجساما جمادية فتحدث فيها الحياة، فتعلم قطعا ان هاهنا موجد للحياة، ومنعم بها، هو الله تعالى.

واما السموات فنعلم من حركتها التي لا تفتر ولا تضعف انها مامورة بالعناية بنا ومسخرة لنا، والمسخر المامور، مخترع من قبل غيره ضرورة.

وقد بين المنهج القراني باسلوب رائع البيان هذا الدليل فقال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾[٦٦].و ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾[٦٧]وقوله تعالى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً مسلما وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٦٨].

ثانيهما:– ان كل مُخترَع لا بد له من مُخترِع، فمن اراد معرفة الله ووجوده تعالى عليه ان يعرف جواهر الاشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لان من لم يعرف حقيقة الشيء لا يعرف حقيقية الاختراع. قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٦٩].وقال عز من قائل ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ(٥)خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [٧٠].

والدليلان كما يتضح لنا هما دليل الشرع، واما الآيات القرآنية المباركة المبهمة على تلك الادلة وفق السياق القرآني والتي تشير الى وجود الصانع سبحانه وتعالى فهي منحصرة في هذين الجنسين من الادلة.

وقد اشتمل السياق القرآني كما يتضح لنا على الدليلين السابقين كلا على حدة كما تطرقنا اليه. بينما جمع في ايات اخرى مباركة بين الدليلين، في اسلوب غاية الاعجاز، والملاحظ ان الايات التي تجمع بين الدليلين هي الاكثر

في القران الكريم. فقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم﴾[٧١]. هنا اشارة الى دليل الاختراع وقوله ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [٧٢]. هنا تنبيه على دليل العناية.ومن الايات المباركة التي جمعت بين دليلين قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[٧٣].

واكثر الايات القرانية الواردة في هذا المعنى يوجد فيها هذان النوعان من الادلة وبذلك جاء السياق القراني المعجز يؤكد بصور بلاغية فريدة الطريق المستقيم التي دعا الله الناس اليها لمعرفة وجوده وقدرته وخالقيته ووحدانيته[٧٤].

خامسا: اعتماد الادلة العقلية البرهانية والجدل المقنع.

لما كانت طبائع الناس مختلفة ومسالكهم في اثبات وجود الخالق متفاوتة، فمنهم من لا يقنع الا بالبرهان، ومنهم لا يؤمن الا بالدليل، ومنهم من ياخذ بالاراء الفلسفية التي ربما لا تتفق مع الفطرة الانسانية السليمة، لهذا ضم القران الكريم بين دفتيه من الادلة ووسائل الجدل والاقناع ما يرضي جميع الناس على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم وتنوع معارفهم وادراكتهم وتباين اصنافهم[٧٥]. فاتخذ السياق القراني منهجا برهانيا اقناعيا باعتماد النظر والاستدلال لمجادلة الخصوم، واقامة الحجة عليهم، حيث استخدم المقدمات الحسية (اي النظر في ملكوت السموات والارض) ذات البرهان العقلية الصادقة التي لا يمكن للعقل انكارها لانها قائمة على الواقع الحسي المشاهد.

واذا عدَّ المنطقيون تلك المشاهدات من المقدمات البرهانية والتي تكون نتائجها تعينية فكذلك تكون نتائج الايات القرانية تعينية صادقة وتتفق مع الفطرة الانسانية[٧٦].

لقد نزل القران الكريم وهو اخر الكتب السماوية بالحق من عند الله الى رسول محمد(ﷺ) مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية السابقة فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٧٧].

لذا يقول ابن كثير (رحمه الله): (هذا الكتاب الذي انزله الله اخر الكتب، وخاتمها واشملها، واعظمها، واكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمال ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدا وامينا وحاكما عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة [٧٨].

اكدَّ القران الكريم وباساليبه البلاغية على الدعوة للقضاء على الانحرافات العقائدية والشرك والوثنية التي سادت امم الارض، وعرب الجزيرة خاصة، واقام الادلة والبراهين على وجوده تعالى وحدانيته وانه لارب غيره ولا اله سواه،و يستحيل ان يكون للعالم خالقان متكافئان قد اوجدا هذه المخلوقات. اي ان القران في منهجه عمل على القضاء على مظاهر الانحراف والتشعب الديني والشرك والوثنية لدى الامم والاقوام والتي نفدت وتسربت الى جزيرة العرب كاليهودية والمسيحية والديانات الفارسية او ديانات الهند وعقائد الصابئة وعبادات الهياكل والنيران، والجن والشمس والقمر والاصنام والاوثان، وتلك العقائد ربما كانت ممزوجة بالفلسفة او بالتاويلات اللاهوتية، ويستخدم اصحاب تلك العقائد البراهين الجدلية والمنطقية للاستدلال على صحة معتقداتهم وبيان بطلان عقائد معارضيهم[٧٩].

وقد بين القران الكريم اختلاف الناس وتشعب عقائدهم الدينية على اصناف فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٨٠]. وقال تعالى ايضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٨١].

وكما اوضح القران ان هناك صنفا ينكر الخالق والبعث واليوم الاخر وهم الدهريون الذين قالوا بقِدم العالم واعتقدوا بالمحسوسات المشاهدة وبالطبع المحيي والدهر المفني[٨٢]. فقال تعالى على لسانهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[٨٣]. وبين القران الكريم ان هنالك صنفا اخر اقر بالخلق وابداعه لكنه انكر البعث والاعادة فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٨٤].

فانكر القران عليهم حججهم مستدلا بالنشأة الاولى حين اعترفوا بالخلق الاول[٨٥]. فقال تعالى﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ . وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٨٦]. واعجزهم بقوله تعالى ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ . بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٨٧].

وقد اخبرنا القران الكريم ان هنالك صنفا ثالثا اقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة،ولكنهم انكروا الرسل والرسالات السماوية، وعبدوا الاوثان والاصنام وقالوا انها شفعاؤهم في الدار الاخرة فقال تعالى عنهم: ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾[٨٨]. وقوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [٨٩].

لقد عمل المنهج القراني على معالجة جميع تلك التصورات الفاسدة والمنحرفة، وهدَّ اسباب الشرك من اصولها، واقام العقيدة الدينية على اسس صحيحة في التوحيد الخالص، واتخذ اعدل الطرق واوضحها لاثبات وجود الله تعالى وخالقيته مستخدماالاستدلال والبرهنة واقامة الحجج على المخالفين لاسقاط دعاواهم ،حيث جاءت اساليب القران واضحة المعالم بينة المسالك في مخاطبتها لاصحاب العقول واولي الافهام، بمنهج واضح ومنطق سليم، بعيدا عن الجدل السقيم غير المنتج، الذي اتخذه اصحاب الفلسفات والديانات الاخرى، حيث جاء هذا الاسلوب بجملة براهين صادقة مبنية على مقدمات صادقة يستوي في ادراكها عوام الناس وفلاسفتهم[٩٠].

وهذا يدل على مدى الاعجاز القراني وصحة منهجه في خطاب الناس واقناعهم لان القران خاتم الكتب السماوية واحكامه وتشريعاته صالحة لكل زمان ومكان وللناس كافة، ولأن طبائع الناس مختلفة، ومسالكهم متباينة، ومتفاوتة، في اثبات وجود الله فمنهم كما ذكرنا انفا لا يقنع الا بالبرهان، ومنهم من قد تاثر بالاديان القديمة، لذا عرض المنهج القراني جميع الادلة العقلية، والمناهج الفكرية، ووسائل الاقناع، والبراهين، بما يرضي الجميع على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم واتجاهاتهم، فيناقشهم باسلوب يلمس الفطرة ويحرك الحس، ويوقظ القلب، ويلمس النفوس وفق صياغة بيانية منسقة وسياق استدلالي بديع، يرضى العقل المتطلع الى تعليل الظواهر، وربط الاسباب بالمسببات، كي يكون الاعتقاد بوجود الله صادقا والبرهان على وحدانيته جازما.

فالمنهج القراني واساليبه البلاغية لا يدخل في جدل ذهني جاف غير منتج لذا ذكر الامام السيوطي (رحمه الله) ذلك بقوله: ان خطاب الله تعالى في محاجَّة خلقه كانت في اجلى صوره ليفهم العامة من جلي الآيات واوضحها، ما يقنعهم وتلزمهم الحجة، وتُفهِم الخواص من اثنائها ما يُربِى على ما ادركه فهم الخطباء) [٩١]. وأورد السيوطي (رحمه الله) اقوال في بيان اساليب القران ،منهاقولهم:(ان القران العظيم اشتمل على جميع انواع البراهين والادلة. وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية الا وكتاب الله قد نطق به، لكن اورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين)[٩٢].

ومن ابرز مناهج الجدل والاستدلال التي اوردها القران الكريم في سياق محاججة الخصوم هي[٩٣]:

١-قياس الخَلَف: ويسمى ايضا بـ(دليل التمانع) وهو ابطال المطلوب بابطال نقيضه كقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وجه الدلالة اثبات وجود الله تعالى بابطال وجود نقيضه وهو التعدد.

٢-القَصَص: حيث تضمنت القصص الواردة في القران الكريم كثيرا في الادلة لاثبات وجود الله تعالى، وان ما يدعيه المشركون بوجود اله كالاوثان والاصنام وغيرها من الالهة الباطلة قد بين السياق القراني بطلانها.

٣-القياس الأضماري: وهو قياس تحذف منه احدى المقدمات ويكثر في الاستدلال الخطابي كقوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ . خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٥٩﴾الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٩٤].ففي الاية الكريمة لم تذكر الا مقدمة واحدة هي: اثبات مماثلة عيسى لادم (عليهما السلام) في خلقه من غير اب، ولم تذكر المقدمات الاخرى، ولو كان عيسى ابن الله تعالى كما يقولون، لكان ادم كذلك إبنا له، بل انه الاولى بالبنوة، ولما كان ادم ليس ابنا لله باعتراف النصارى، بطل ما ادى اليه ادعائهم وهو كون عيسى (عليه السلام) ابنا الله تعالى.

٤-السبر والتقسيم: وهو قياس شرطي منفصل، وحدَّه: ان كل ما انحصر بين قسمين فيلزم من ثبوت احدهما نفي الاخر، ومن نفي احدهما ثبوت الاخر وهو قسمان: احدهما يدور بين النفي والاثبات وهذا هو المنحصر، والثاني لا يكون كذلك وهذا هو المنتشر، فالمجادِل يذكر اقسام الموضوع المُجادَل فيه، ويبين انه ليس من خواص واحد منها ما يوجب الدعوى التي يدعيها الخصم.منها قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٩٥]. فردَّ الله على الكفار الذين حرموا ذكور الانعام تارة، واناثها تارة، بطريق السبر والتقسيم. فالله تعالى خلق من كل زوجين اثنين.. اما علة تحريم الكفار فلا يخلوا :

- اما من جهة الذكورة وهنا يلزم حرمة جميع الذكور غير جائز

-او من جهة الانوثة وهنا يلزم حرمة جميع الاناث غير جائز

-او من جهة اشمال الارحام تحريم الصنفين غير جائز

-او لا يعلم له علة.. الا ان ياخذ عن الله بطريق الوحي..اذن لابد من رسول، وهو لم ياتيهم،ولم ياخذوه من الله بلا واسطة لانهم لم يدعوه ،واذا بَطُلَ جميع ما قالوه ثبت المُدَّعى وان ماقالوه هم باطل وافتراء على الله تعالى. وتلك احتمالات او وجوه التحريم التي إدعوها فتم نقضها وفق هذا الاسلوب الجدلي،وبطريقة السبر والتقسيم....

-التمثيل (المماثلة):- نوع من الجدل المنطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة القائمة على مقدمات صحيحة منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾[٩٦]. فبين السياق القراني ان الله تعالى قاس امر الاعادة في الحياة الاخرى (وهو امر مستغرب) على الامر بالمعروف في الحياة الدنيا وهو احياء الارض الميتة بنزول المطر عليها.

-القول بالموجب: وهو رد كلام الخصم من فحوى كلامه كقوله تعالى عن المنافقين ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩٧]. فهم عندما نسبوا صفة الاعز اليهم، وصفة الاذل الى المؤمنين، ردَّ الله تعالى عليهم بان قولكم الاعزُّ يخرج الاذلَّ صحيح، ولكن الاعزُّ المخرِج هو الله ورسوله والمؤمنون، والاذلَّ المُخرَّج هم المنافقون.

-الإسجال: هو الاتيان بالفاظ تُسجِل على المخاطب وقوع ما خوطب فيه كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[٩٨].

-المُناقَضَة: وهو تعليق امر على مستحيل، اشارة الى استحالة وقوعه كقوله تعالى﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[٩٩].

_ابتناء الدليل على امر بديهي او حقيقة مشهورة: الامر الذي يجعل الخصم يتهاوى امام الدليل، كقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾[١٠٠]. أي كيف تقولون ان لله تعالى ولد مع ان الولادة لا تكون الا عن طريق زوجة وشهوة تنفصل عنه وتستقر في رحمها وذلك باطل في حق الاله القادر على كل شيء.

وبذلك يتضح لنا ان اساليب القران ومنهجه في اثبات وجود الله تعالى، كثيرة ومتعددة وما اوردناه هنا من تلك الاساليب البلاغية جاء للبرهنة والاستدلال على وجوده تعالى وخالقيته، كما ان الاعجاز القراني في المنهج والاسلوب والبيان به تحدى الله سبحانه العرب وهم اللغة والفصاحة والبيان والكلام ان يعارضوه،او ينسجوا على منواله، فعجزواعنك تحديه، وانصرفوا عن التشكيك فيه، وايقنوا انه كلام ليس ككلام الناس وان كان بلغتهم وجنس كلامهم ، فكان معجزة خالدة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)،ابهرت اهل الفصاحة والبيان، والبلاغة والكلام، للايمان بانه كلام رب العالمين،بلسان عربي مبين.

الخاتمة والنتائج

اولا: القران الكريم كتاب الله تعالى، هو اخر الكتب السماوية وادقها، واوثقها: هو معجزة نبينا (ﷺ) اخر الانبياء والمرسلين (عليهم السلام)، وتلك المعجزة الخالدة باينت معجزات الانبياء والمرسلين الذين سبقوه، اذ كانت معجزاتهم حسية بينما القران الكريم معجزة خالدة في اللغة والفصاحة والبلاغة البيان وبه تحدى الله تعالى العرب وهم اهل الكلام والفصاحة والبيان، ان ياتوا بمثله او النسج على منواله في المنهج والاسلوب والفصاحة فعجزوا عن ذلك وبذلك كان معجزة عقلية وبيانية خالدة ابد الدهر.

ثانيا: كانت الاساليب القرانية من ابلغ الاساليب في التاثير، واكثرها وضوحا في البرهنة والاستدلال، لذا جاءت تخاطب الفطرة الانسانية السليمة وتوقظها للاعتقاد بوجود بارئها، وتذكرها بالعهد والميثاق الذي اخذه الله عليها وهي في صورة الذَّر للاعتراف بوجوده والايمان بخالقيته ووحدانيته. وقد وضح هذا الاسلوب الفريد ان الفطرة قد تنحرف وتمرض فتميل عن وجهتها الصحيحة بفعل عوامل كثيرة داخلية وخارجية، والله سبحانه وتعالى يرسل الانبياء والمرسلين للناس لاعادتهم الى الطريق السليم، وارجاع الفطرة الانسانية الى صفائها كما خلقها اول مرة وهي فطرة الاسلام.

ثالثا: اكدَّ الاسلوب القراني على توجيه العقول للاستدلال على وجود الله تعالى توجيها ايقاعيا متناسقا والفاتها للنظر في ملكوت السموات والارض وحركة الافلاك، ودوران الاجرام وفق نظام، كوني دقيق متسق، وان ذلك لابد من ان يكون قبل صانع خالق لذلك مريد، ولا يمكن ان يحدث عن طريق المصادفة او بطريقة احتمالية عفوية.

رابعا: اكدَّت اساليب القران على الاستدلال بالبراهين العقلية والجدل المقنع وسيلة لاثبات وجوده تعالى، لذا كان السياق القراني يعتمد النظر والاستدلال، ومجادلة الخصوم جدالا منتجا لاقناع الخصوم، واقامة الحجة عليهم واسقاطهم، حيث يعتمد الاسلوب استخدام المقدمات الحسية (اي النظر في ملكوت السموات) الصادقة والتي لا يمكن للعقل انكارها لانها قائمة على الواقع الحسي المشاهد للوصول الى نتائج تعيينية صادقة.

خامسا: ذكر الاسلوب القراني الانحراف الفكري والعقائدي لكثير من الامم والشعوب وبين اصناف المشركين واقام الدليل على بطلان عقيدة كل صنف منهم وان المنهج القراني استخدم اساليب كثيرة للجدل مع الخصوم واقامة الحجة عليهم من ابرزها قياس الخلف، اسلوب القصص، القياس الاضماري، السبرو التقسيم، التمثيل، القول بالموجب، الاسجال، المناقضة- وسوى ذلك من الاساليب.

سادسا: سلك المنهج القراني في اساليب بيانية التاكيد على دليل العناية والاختراع، وهو دليل يستخدم لاثبات وجود الله تعالى عن طريق المعرفة المبنية على الحس ويتجلى الدليل عن طريق عناية سبحانه وتعالى بالانسان وخلق جميع الموجودات في الكون من ماء وهواء وضوء ونبات وسواها من اجله وموافقة لوجوده، وكذلك يظهر الدليل في اختراع جواهر الاشياء والموجودات مثل اختراع الحياة في الجمادات وانها لا تكون صدفة وانما هي من قبل فاعل قادر مريد.

سابعا: جاءت الاساليب القرانية مستوعبة لجميع الفنون البلاغية سواء كانت في البيان والفصاحة او في النظم والتصوير الفني، وهي تباين المعهود في نظم العرب، وتختلف عن خطابهم اي ان للقران الكريم اسلوب اختص وتميز به

عن سائر اساليب الكلام المعتاد وبذلك كانت اساليب القران تثير الحس، وتستفز المشاعر وتحرك الوجدان وتستنهض الخيال، وتدعو لتحرير العقيدة من شوائب الشرك الوثنية وتعيد الفطرة التي اصابها الانحراف نحو الايمان بوجود الله وتوحيده.

واخر دعونا ان الحمد لله رب العالمين

الهوامش

---

[١] تهافت الفلاسفة، المقدمة، /٢.

[٢] سورة آل عمران، الاية (٣).

[٣] سورة فصلت، الآية (٥٤).

[٤] ينظر : لسان العرب :ابن منظور (العلامة ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٦٣٠هـ-٧١١م) اعتنى بتصحيحه(أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد صادق العبيدي)، ط(٣) دار احياء الكتب العربية ، بيروت-لبنان .بدون سنة طبع ٥٦/٥ مادة (فطرة). مفردات الفاظ القرآن : الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داودي ،ط(١)،دار القلم (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)/٦٤ ،الفطرة عند المسلمين: اسماعيل محمد قرني كلية الشريعة جامعة صلاح الدين - العراق . www.iasj.net/

[٥] سورة الزخرف، الاية (٢٧).

[٦] سورة الانفطار، الاية (١)

[٧] سورة طه، الاية (٧٢).وينظر: المفردات للراغب الاصفهاني ٤٩٤/٢

[٨] سورة لقمان، الاية (٢٥).

[٩] الجامع لاحكام القرءان:الإمام ابو عبد الله محمد بن احمدالانصاري (ت٦٧١هـ)، ط(١)، دار الكتب العلمية،بيروت_لبنان(١٤٠٨هـ_١٩٨٨م)،٢٢/١٤_٢٨ .وينظر،التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، ٧٢،٧٧/١٨، والردعلى المنطقيين: ابن تيمية،/٤٢٣،واحكام اهل الذمة: ابن القيم ١٦٩/٢.

[١٠] الروم/٣٠

[١١]سورة الزمر، الاية (٨).

[١٢]سورة الاعراف، الايتان (١٧٢-١٧٣).

[١٣]تفسير القران العظيم ابن كثير ، الامام الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ) ط(٢) دهر الكتب العلمية، بيروت_لبنان(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م). : ٢/٢٥

[١٤]ينظر سيد سابق: العقائد الاسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان (ت٧٧٤هـ)بدون تاريخ طبع/٤٦، ط(٢) دار الجبل بيروت-لبنان (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)،ى ٢/٢٥٠.

[١٥] ينظر، اعجاز القران في دلالة الفطرة على الايمان، سعد بن علي بن محمد الشهراني، بحث مقدم الى مؤتمر اعجاز القران الكريم السابع، الذي اقامته كلية الشريعة، بجامعة الزرقاء ،الاردن للفترة(١٨-٢٠/٧//١٤٢٦هـ الموافق ٢٣-٢٥/٨/٢٠٠٥م)/١٦.

[١٦]سورة الروم، الاية (٣٠).

[١٧]سورة الاعراف، الاية (١٧٢).

[١٨]ينظر: اعجاز القران في دلالة الفطرة على الايمان، سعد بن علي بن محمد الشهراني /٢١

[١٩]سورة الروم، الاية (٣٠).

[٢٠]ينظر: جامع الرسائل والمسائل: ابن تيمية ١١/١.وإعجاز القران في دلالة الفطرة على الايمان،ص١٩

[٢١]ينظر: اعجاز القران في دلالة الفطرة على الايمان: سعد الشهراني ص ٢١.

[٢٢]المصدر السابق، /،٢٠،٥٥.

[٢٣]المصدر نفسه، /٢٣.

[٢٤]ينظر: فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها: احمد سعد حمدان ص ١٢٧-١٣٨ عن المصدر السابق،ص٢١ ٢٣.

[٢٥] رواه البخاري عن ابي هريرة، كتاب الجنائز(١/ ٤٥٦)رقم الحديث (١٢٩٢)ومسلم كتاب القدر باب كل مولولود يولد على الفطرة(١٦٢٤/٤) برقم (٢٦٥٨). و مسلم عن عياض، كتاب الجنة، رقم الحديث (٦٣٥٦).

[٢٦]سورة طه، الاية (٣٢).

[٢٧]اعجاز القران في دلال الفطرة على الايمان:سعد بن علي بن محمد الشهراني، ص٢٧.

[٢٨]سورة الاسراء، الاية (١٠٢).

[٢٩]سورة الانعام، الاية (٣٣).

[٣٠]رواه مسلم عن عياض، كتاب الجنة ٦/٥، رقم الحديث (٢٨٦٥).

وراجع تفسير القران العظيم: ابن كثير ٢٧٢/٢، وشرح العقيدة الطحاوية: ابن ابي العز ٣٤/١.

[٣١]البخاري بحاشية السندي، كتاب تفسير القران، ١٧٣/٣. ومسلم، كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطره(١٦٢٤/٤) رقم الحديث (٢٦٥٨).

[٣٢]ينظر احكام القران: للقرطبي: ١٤/ ٢٠-٢١، العقيدة الاسلامية: محمد كمال عيسى/ ١٠٨.

[٣٣]سورة الاعراف، الاية (٥٩).

[٣٤]سورة ابراهيم، الاية (١٠).

[٣٥]ينظر: الالوهية في العهد القديم والقران الكريم: فرحان محمود التميمي/ ٥١٥-٥١٦.

[٣٦]سورة يونس، الاية (٩٠).

[٣٧]ينظر،الاسلام دين الفطرة: بدر عبد الحميد هميسة/ موقع صيد الفوائد (www.saaid.net) و العقيدة في القران الكريم/٨١، عن موقع مركز تفسير الدراسات القرانية، عثمان بن جمعة، تاريخ النشر ٢٠١٢/١٢/٣١.

[٣٨]ينظر: الالوهية في العهد القديم والقران الكريم: فرحان محمود شهاب التميمي.اطروحة دكتوراه ،مقدمة الى مجلس كلية العلوم الاسلامية بجامعة بغداد لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الاسلامية،باشراف الاستاذ الدكتور سعدون محمود الساموك،وبدرجة امتياز(١٤١٨هـ-١٩٩٧م)./٥٠٠

[٣٩]سورة آل عمران، الايتان (١٩٠-١٩١).

[٤٠]سورة البقرة ، الاية (١٦٤).

[٤١]سورة ق، الايات(٦-١١).

[٤٢]ينظر: اصول الدين الاسلامي: قحطان الدوري ورشدي عليان /١٤٩-١٥٤.

[*]السفسطة: كلمة يونانية تعني (الحكمة) والسفسطائي هو الحكيم، والسوفسطائيون جماعة من معلمي الحكمة ظهروا في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان ابرزهم: بروتاكوراس (٤٨٠ق. م) ودانتفون، وبرو ديكلوس وغيرهم: عن اصول الدين الاسلامي قحطان الدوري، حاشية ص١٤٩.

[٤٣]العقيدة الاسلامية ومناهجها: قحطان الدوري،ط(٣)كتاب ناشرون، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م) /٤٣٧.

[٤٤]العقل والوجود: يوسف كرم. ط. دار المعارف بمصر (١٩٦٤)، /٨.

[٤٥]دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية: عرفان عبد الحميد، /١٧٧.

[٤٦]سورة المائدة، الاية (١٠٤).

[٤٧]سورة الروم، الاية (٢٩).

[٤٨]سورة البقرة، الاية (٢١٩).

[٤٩] ينظر،العقل في الفكر العقدي الاسلامي: البروفسور كيلان، ٢٩ابريل ٢٠١٣.

[٥٠]ينظر، اصول الدين الاسلامي: قحطان الدوري ورشدي عليان، ص١٥٢-١٥٤.و العقيدة الاسلامية ومناهجها : قحطان الدوري، بيروت –لبنان، ٢٠١٢، ط(٣)، كتاب ناشرون، ص٤٣٨-٤٣٩.

[٥١]سورة آل عمران، الاية (١٦٤).

[٥٢]اعجاز القران: الباقلاني ص٣.

[٥٣]سورة الحجر، الاية (٩).

[٥٤]ينظر: الاتقان: السيوطي، ٦٠٣/٤، والمختار في تفسير القران : محمد متولي الشعراوي، ط(١) المكتبة الشرقية، ١٩٩٠، ٥/١-٦.

[٥٥]التصوير الفني في القران،ط٩،دار المعرف بمصر،د.ت.ط/١٥_١٦

[٥٦]ينظر: التصوير الفني في القران:سيد قطب/١٦

[٥٧]التصوير الفني في القران /٢٤-٦٢، والالوهية في العهد القديم والقران الكريم: فرحان التميمي/ ٥١٠.

[٥٨] ينظر : البرهان في علوم القران، ٣٨٣/٢، والالوهية في العهد القديم والقران الكريم، فرحان التميمي /٥٠٩.

[٥٩]اصول الدين الاسلامي: قحطان الدوري، ورشدي عليان، /٦٥.

[٦٠]دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية: عرفان عبد الحميد، ص١٦٦.

[٦١]ينظر: المصدر السابق،ص١٦٦-١٦٧،واصول الدين الاسلامي،قحطان الدوري،رشدي عليان، /٦٤.

[٦٢]سورة الفرقان، الاية (٦١).

[٦٣]سورة النبأ، الايات(٦-١٦).

[٦٤]سورة عبس، الايات،(٢٤-٣٢).

[٦٥]ينظر: دراسات الفرق والعقائد الاسلامية، عرفان عبد الحميد، ص١٦٧، اصول الدين الاسلامي، قحطان الدوري، رشدي عليان، /٦٥.

[٦٦]سورة الغاشية، الاية (١٧)

[٦٧]سورة الحج، الاية (٧٣).

[٦٨]سورة الانعام، الاية (٧٩).

[٦٩]سورة الاعراف، الاية (١٨٥).

[٧٠]سورة الطارق، الايتان (٥-٦).

[٧١]سورة البقرة، الاية (٢١).

[٧٢]سورة البقرة، الاية (٢٢).

[٧٣]سورة آل عمران، الاية (١٩١).

[٧٤]للمزيد راجع: دراسات الطرق والعقائد الاسلامية: عرفان عبد الحميد، ص١٦٨-١٦٩.

[٧٥]ينظر: منهج القران في الاستدلال: عمر طنطاوي، بحث منشور بمجلة منبر الاسلام الصادرة عن مجلس الاعلى للشؤون الاسلامية-القاهرة، العدد (١)، السنة (٣١) محرم (١٣٩١هـ) شباط ١٩٧٩م، ص٧، والالوهية في العهد القديم والقران الكريم:فرحان التميمي /٥٠٢.

[٧٦]ينظر: الالوهية في العهد القديم: فرحان التميمي، ص٥٠٣، وقارن مع منطق العرب: عادل فاخوري، ط١، دار الطليعة بيروت-لبنان، ١٩٨٠/١٤٧-١٥٠

[٧٧]سورة المائدة، الاية (٤٨).

[٧٨] ينظر،تفسير القران العظيم، ابن ثير ٦٨/٢.

[٧٩]ينظر، الملل والنحل : الشهرستاني، ٣٧/١، ٢٠٨، وتاريخ العرب قبل الاسلام: جواد علي، ٢٥١/٥، فجر الاسلام: احمد امين/ ٧٤-٧٥، وقارن مع الالوهية في العهد القديم والقران الكريم:فرحان التميمي /٤٩٥.

[٨٠]سورة الحج، الاية (١٧)

[٨١]سورة البقرة، الاية (٦٢).

[٨٢]ينظر: الاسفراييني: التبصير في الدين /١٤٩، وجواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام، /٣٦٤.

[٨٣]سورة الجاثية، الاية (٢٤).

[٨٤]سورة يس، الاية (٧٨).

[٨٥]الملل والنحل: الشهرستاني ٢٣٦/٢،والالوهية في العهد القديم والقران الكريم: فرحان التميمي،/٤٩٧.

[٨٦]سورة يس، الاية (٧٩).

[٨٧]سورة ق، الاية (١٥).

[٨٨]سورة ص، الاية (١٤).

[٨٩]سورة يونس، الاية (١٨).

[٩٠] ينظر: الألوهيَّة في العهد القديم والقرآن الكريم: فرحان التميمي،/٥٠٢-٥٠٣

[٩١]ينظر الاتقان في علوم القران، ٥٢/٤، والالوهية في العهد القديم والقرآن الكريم: فرحان التميمي/٥٠٣.

[٩٢]الاتقان في علوم القران ٥٢/٤، والالوهية: المصدر السابق ص٥٠٤.

[٩٣]ينظر: ارشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الاصول: الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت ٢٥٥هـ)، ط ،دار الفكر بيروت بدون تاريخ طبع/٢١٣-٢١٤، الاتقان في علوم القران: السيوطي ٥٥/٤، مباحث العلة في القياس عند الاصوليين:عبد الحكيم السعدي /٤٤٤-٤٤٨.، منهج القران في بناء العقيدة: محمد عبد الستار نصار/ ٧٠. منهج القران في الاستدلال: الطنطاوي عمر/٧١. اعجاز القران: الباقلاني (ابو بكر محمد بن الطيب ت٤٠٣هـ) سلسلة ذخائر العرب/١٢، تحقيق احمد الصقر دار المعارف بمصر/٧٨.

[٩٤]سورة آل عمران، الايتان (٥٩-٦٠)

[٩٥]سورة الانعام، الاية (١٤٣).

[٩٦]سورة الحج، الاية (٥).

[٩٧]سورة المنافقون، الاية (٨).

[٩٨]سورة آل عمران، الاية (١٩٤).

[٩٩]سورة الاعراف، الاية (٤٠).

[١٠٠]سورة الانعام، الاية (١٠١).